اية مشكلة ، اما اليهودي الفرنسي ففي وضع مختلف تماما اذ ان هناك تعارضا واضحا بين مصلحة وطنه ومصلحة اسرائيل اذ لا شيء يجمع بينهما على الاطلاق . ولجوء مزراحي الى هذا التشبيه لتبرير ازدواجية الولاء اليهودي ما هو الا من قبيل التمويه خاصة وان اوروبا لا تعترف ولا تريد ان تعترف بالقومية العربية والتيار الوحدوي في الوطن العربي .

ثم أن العداء للسامية اختراع اوروبي لم تعرفه بلاد الشرق ابدا اذ من غير المعقول ان يكون العرب معادين للسامية وهم انفسهم ساميون . اما العداء لليهودية فمسالة مختلفة لها اسبابها في بعض الشاحنات الدينية والطائفية التي كانت تظهر بين الحين والاخر . فكما كان هناك احيانا عداء بين هذه الطائفة الدينية وتلك ، كذلك كان هناك احيانا عداء بين اليهود كطائفة دينية وبين غيرهم من الطوائف . اما ان يسمى هذا العداء معاداة للسامية فتمييز خطير واعتراف يتفوق الشعب اليهودي وخصوصيته وفرادته واستخفاف ببقية الفئات الدينية والاجتماعية التي لاقت الاضطهاد نفسه والعداء نفسه . وهذا المنطق يؤدي في النهاية الى عنصرية مخيفة تتلخص في الاحتجاج فقط على الاضطهاد الموجه ضد اليهود واعتبار الاضطهاد الاخر الموجه ضد الاخرين لا قيمة له على الاطلاق . لماذا ؟ هل لان اليهودي من طينة غير طينة الاخرين ؟ كل ما نستطيع ان نقوله ان هذا ما تؤمن به الصهيونية وهذا ما تؤمن به ايضا النازية .

٢ — اما الفكرة الثانية في هذا الكتاب فتدور حول ما يسميه مزراحي عداء ماركس للسامية وذلك من خلال كتيبه « المسالة اليهودية » الذي هو عبارة عن رد سريع على نظرة باور الى هذه المسالة نفسها . يقول المؤلف : « بالنسبة الى العالم اللاهوتي المسيحي برونو باور كما بالنسبة الى عالم الاجتماع كارل ماركس ، ينبغي القضاء على اليهودي باية وسيلة كانت وباية نظرية . وكتيب « المسالة اليهودية » ليس الا دعوة الى الجريمة ودعوة الى ابادة الجنس » (ص ٦٢) . هل صحيح اذن ان ماركس كان يكره اليهود وهو اليهودي الاصل ؟ ان عودة الى كتيب ماركس نفسه والى النص الاصلي توضح لنا كيف تنعدم الامانة والموضوعية عند مزراحي وكيف يحمل الكلمات فوق ما تحتمله . يقول ماركس : « ان التحرر السياسي لليهودي وللمسيحي يكمن في تحرر الدولة من اليهودية ومن المسيحية » (ص ٢١) هذه الجملة تحولت عند مزراحي الى « دعوة الى الجريمة والى ابادة الجنس » (الجنس اليهودي طبعا) . وهنا يحق لنا ان نتساءل : لماذا لم يشر مزراحي الى دعوة ماركس المزعومة الى ابادة المسيحيين كذلك ؟ هذا اذا افترضنا ان هناك مثل هذه الدعوة . لماذا لا يشفق ولا يغضب الا لليهود ؟ ان ثورة الكاتب الصهيوني ضد ماركس هي في الحقيقة ثورة ضد الموقف الثوري الذي اتخذه ماركس من القضية اليهودية وهو موقف مغاير تماما ومناقض جذريا للموقف الصهيوني . وهو لا يخفي غضبه لذلك وكان تهمة معاداة السامية قد الصقت به لانه رفض ان يتكلم عن حل صهيوني للمسالة اليهودية (انظر ص ٣٢ — ٣٣) .

وهنا من الضروري توضيح بعض النقاط التي تعمد الكاتب تجاهلها ليسهل امامه مهمة اتهام ماركس بالعداء للسامية . فهو اولا يركز تركيزا ملفتا للانتباه على كلمة « يهودية » دون ان يحاول اطلاعنا على المضمون الحقيقي الذي يعطيه ماركس لهذه الكلمة . انها تعني في قاموس الماركسية ، بالدرجة الاولى ، دورا اقتصاديا معينا تقوم به طبقة معينة من الرأسماليين كما تعني ايضا الثقافة المسيحية السائدة والتي هي امتداد وتحقيق لليهودية . اذن فاليهودية عند ماركس ليست مجرد ديانة سامية بل هي قبل كل شيء ايديولوجية الطبقات الاوروبية المسيطرة . وهذا ما يحاول مزراحي طمسه وتشويهه .

ومزراحي كذلك يرفض اعتبار المسالة اليهودية مسالة كغيرها يمكن ان تحل من خلال عملية تحرير الانسانية من الاستغلال بل يصر على اضفاء طابع الخصوصية والفرادة عليها . فلا عجب والحالة هذه من أن نراه يتهم ماركس بالعداء للسامية لمجرد ان هذا الاخير يرفض ايجاد « حل خاص » للمسالة اليهودية . وموقف مزراحي هذا هو في الحقيقة تشجيع وتحريض على دعم مواقف وحجج المعادين للسامية الذين كانوا دائما ينطلقون من خصوصية اليهود وعدم قابليتهم للتكيف مع غيرهم ليتمكنوا من اضطهادهم . وهذا الالتقاء المريب بين أعداء اليهود وبين من يدعون الدفاع عنهم بين